# أدب الخطاب بين الآباء والأبناء من منظور قرآني

# (خطاب إبراهيم -عليه السلام- نموذجاً)

د. عودة عبد الله[1]

[1] أستاذ مشارك بقسم أصول الدين / جامعة النجاح الوطنية / نابلس / فلسطين

# أدب الخطاب بين الآباء والأبناء من منظور قرآني

## (خطاب إبراهيم -عليه السلام- نموذجاً)


## ملخص البحث

ندب الله تعالى في القرآن الكريم إلى ضرورة التحلّي بالأدب في مخاطبة الآخرين، لما لذلك من تأثير إيجابي في النفوس، وفي بناء علاقاتٍ طيبة بين الناس. وقد أمر الله تعالى في القرآن الكريم الآباء والأبناء على وجه الخصوص بضرورة التحلّي بأدب الخطاب، لأن العلاقة التي تربطهما هي من أسمى العلاقات.

وكان إبراهيم –عليه السلام- مثالاً يُحتذى في هذا السياق، فقد كان أدب الخطاب شعاراً له في حديثه مع أبيه آزر، على الرغم من كفره وجحوده وقسوته، كما كان شعاراً له في حديثه مع ابنه إسماعيل عليه السلام. وكان أسلوب إبراهيم –عليه السلام- في خطاب أبيه وابنه خير دليلٍ لكلّ الآباء والأبناء في أيامنا التي وهنت فيها الروابط الأسرية.



(**الكلمات الدالة**: الأدب، الخطاب، الأنبياء، القرآن، التفسير)


# Politeness of discourse between fathers and sons from A Quranic Perspective

## (Prophet Ibrahim – peace be upon him – as a model)


## Abstract

Quran has emphasized the importance of addressing others politely as this has a very positive impact on the human soul and in building good quality relation relations between people. Holy Quran asked sons and father to adhere to politeness when addressing each other due to the superior link that attaches them together. And Prophet Ibrahim –peace be upon him – is a good example to follow in this context. The politeness in speech was his axiom with his Father Azzer despite his impiety, toughness, and faithlessness. He addressed his son Ismail –peace be upon him - in a similar way. Ibrahim's style in addressing his father and son is the best model for all the fathers and sons nowadays where the family relations weakened.



(**key words**: Politeness, discourse, Prophets, Quran)

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**مقدمـة**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد ...

أدب الخطاب ضرورة إنسانية، تدعو إليه الحاجة لبناء علاقاتٍ طيبة، وعلى أسسٍ متوازنة بين الناس. لا سيما تلك العلاقة التي تربط الآباء بالأبناء، فإنها من أسمى العلاقات، وأكثرها حاجة إلى الحب والاستقرار. وإذا كانت الكلمة الطيبة ضرورة لا بدّ منها في الخطاب بين الناس، فإنها وبلا شك أكثر ضرورة وأهميةً في الخطاب بين الآباء والأبناء.

ويحاول هذا البحث تسليط الضوء على المنهج القرآني في الحديث عن أدب الخطاب بين الآباء والأبناء، للوقوف على الملامح الأدبية في هذا الخطاب، بغرض الحصول على نموذج يُقتدَى به في حياتنا اليومية.

وقد عالج البحث هذا الموضوع في اتجاهين:

الأول: تحليل التوجيهات القرآنية التي تحث على الالتزام بأدب الخطاب بوجه عام، وأدب الخطاب بين الآباء والأبناء بوجهٍ خاص.

الثاني: الوقوف مع نموذج تطبيقي في موقفين، هما: موقف إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه، وموقفه مع ابنه، وذلك من خلال النظر في الأسلوب الذي سلكه إبراهيم -عليه السلام- في خطاب أبيه الكافر وابنه المؤمن، بغرض استلهام الدروس والعبر.

## المبحث الأول

## التوجيه القرآني نحو أدب الخطاب بين الآباء والأبناء

### أولاً: أدب الخطاب ضرورة إنسانية

الخطاب هو واسطة التفاهم والتعارف بين الناس، والإنسان مدنيٌّ بطبعه، لا يمكن أن يعيش منعزلاً عن الآخرين، ولا يستغني عن إقامة العلاقات معهم ومحادثتهم في شؤون الحياة. والخطاب هو الذي يحدد معالم شخصية الإنسان، ويكشف عن مكنوناتها، والساكت مجهول الهوية، فإذا تكلّم عبَّر عن نفسه، وأبان عن شخصيته. قال الشاعر:

وكائن ترى من صامتٍ لك مُعْجِبِ  زيادتُهُ أَوْ نقصُهُ في التكَلُّمِ

لسانُ الفتى نِصْفٌ ونِصْفٌ فؤادُهُ  فَلَمْ يبقَ إلا صورةُ اللحم والدَّمِ[2]

ومن هنا فقد عُنيَ الإسلام بأدب الخطاب، فالناظر في القرآن الكريم، يجده شديد الحرص على الأسلوب الذي يُؤدَّى به الكلام، والطريقة التي يُطرح بها، ويجد أنَّ القرآن الكريم كثيراً ما يُوجِّه نحو الكلمة الطيبة والقول الحَسَن في مناسبات شتَّى.

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء**﴾[3].

فالكلمة الطيبة نفحة روحانية تصل ما بين القلوب وتربطها برباط المودّة والتآلف، وتزهر في النفس لتتفتّح بأجمل أزهار الخير والحب التي يعبق شذاها فوّاحاً في كلّ زمان ومكان. أما الكلمة الخبيثة فهي معولٌ للهدم والتفريق، يعمل تخريباً في أوصال المجتمع فيهدّ كيانه، وهي نتنة الرائحة، تصدر عن بُؤَرٍ نفسية عفنة[4].

وقال تعالى: ﴿**وقلْ لعبادي يقولوا التي هيَ أحسن إنّ الشيطانَ ينزغُ بينهم إنّ الشيطان كانَ للإنسانِ عَدواً مُبيناً**﴾[5]. وقال: ﴿**وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾[6].

---

2 زهير بن أبي سلمى: الديوان، (بيروت: دار صادر)، ص ص (88- 89).

3 سورة إبراهيم: الآيات (24_ 27).

4 غازي صبحي آقبيق: آيات قرآنية: ومضات من القرآن الكريم (عرض وتحليل)، (دمشق: دار الفكر)، ج2، ص99.

5 سورة الإسراء: الآية 53.

والحُسْن: "عبارة عن كلّ مُبهج مرغوب فيه"[7].

قال ابن كثير : "يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم، الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة، فإنهم إنْ لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإنه عدو آدم وذريته، من حين امتنع من السجود لآدم، وعداوته ظاهرة بيّنة"[8].

ففي الآية كما يقول القرطبي: "حضٌّ على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أنْ يكون قوله للناس ليّناً، ووجهه منبسطاً طَلِقَاً، مع البَرّ والفاجر والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أنْ يتكلم معه بكلام يظنّ أنه يرضي مذهبه"[9].

وعليه فإن الآية تشير إلى مبدأ مهم في أدب الخطاب، لتكوين العلاقات الطيبة مع الآخرين، بحيث تكون الكلمة الطيبة والقول الحسن والأسلوب الجميل هي الأساس في بناء تلك العلاقات، وتكون عناوين إنسانية في انفتاح الإنسان على الآخر. لأن القول الحسن في اللفظ والمعنى يفتح القلب، وينعش الروح، ويقوّي الروابط بين الناس[10].

وإذا كانت الكلمة الطيبة أمراً ضرورياً ولا بد منه في الخطاب بين الناس جميعاً، فإنها وبلا شك أكثر أهمية في الخطاب الحاصل بين الآباء والأبناء، ذلك أنَّ رُقيّ العلاقة بين الآباء والأبناء هو عنوان العلاقة الأسرية المترابطة، فكلما كانت العلاقة بين الآباء والأبناء سليمة وصحيحة، كلما شبَّ الأبناء وهم أكثر ثقة بالنفس، وأكثر ثقة بالمجتمع، ويملكون القدرة على الاندماج في المجتمع، والتعامل مع أفراده بصورة إيجابية.

**ثانياً: أدب الخطاب مع الوالدين**

تُعدُّ العلاقة بين الأبوين والأولاد من أسمى العلاقات الإنسانية، والحفاظ على هذه العلاقة يُعد حجر الأساس في بناء العلاقات الإنسانية. إذ كيف يمكن لمن لم يُحسن علاقته بوالديه أنْ يحسن علاقته مع الآخرين ؟!

---

6 سورة البقرة: الآية 83.

7 الحسين بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة)، 118.

8 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الفكر، 1401هـ)، ج3، ص46.

9 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، (القاهرة: دار الشعب، ط2، 1372هـ)، ج2، ص16.

10 انظر: محمد حسين فضل الله: تفسير من وحي القرآن، (بيروت: دار الملاك، ط2، 1419هـ/1998م)، ج2، ص(114_ 115).

لذلك وضع الإسلام قواعد في التربية والتهذيب، ومبادئ للقيم والسلوك والأخلاق، ليقيم عليها مجتمعاً نقيّ السريرة، عفّ اللسان، ذا أدبٍ وذوقٍ رفيع. ومن هنا فقد عُنيَ الإسلام بتأديب الأبناء ليكون الأدب منهاجاً لهم في حديثهم مع آبائهم. فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما نَحَلَ والدٌ ولدَه أفضل من أدبٍ حَسَن»[11]. وأنه قال: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»[12].

والناظر في القرآن الكريم يجد أنه حث في كثير من الآيات على أنْ يُحسن الولد معاملة والديه بشكل عام[13]، وعلى أدب الخطاب معهما بشكل خاص. قال تعالى في الحث على أدب الخطاب مع الوالدين:

**﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾**[14].

فالآيتان الكريمتان تحددان معالم أدب الخطاب مع الوالدين في حال بلوغهما الكِبَر، فالكلمة النابية تجرح مشاعرهما، وتُكدِّر خاطرهما، والكلمة الطيبة تنعش روحهما، وتشرح صدرهما. فهما في حال الكِبَر، لا يحتاجان إلى الطعام والكساء وغيرهما من متع الحياة، قَدْرَ حاجتهما إلى المعاملة بالكلمة الطيبة، لأن أكثر ما يملكانه ويتعاملان به في هذه الحال، هو الكلام أخذاً وعطاء[15].

وليس معنى ذلك أنَّ التأدب في الخطاب مع الوالدين لا يكون إلا في حال الكِبَر وتقدم العمر، بل هو عام في جميع مراحل حياتهما، ولكنهما في سن الشيخوخة أكثر حاجة إلى هذا الأدب، وكثير من الأولاد يُقصِّرون في هذه الناحية، لما يحصل من الوالدين حال كِبَرهما من بعض التصرفات، التي قد يتذمر منها الأولاد، فجاء القرآن لينبهنا إلى هذه القضية.

---

11 أخرجه الترمذيّ في السنن، 4/ 338، برقم: (1952)، وقال: حديث غريب. وأخرجه أيضا أحمد في مسنده 24/ 128 برقم: (1/15403)، وقال محققه: إسناده ضعيف. وانظر: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، (الرياض: مكتبة المعارف، 1403هـ)، ج1، ص131.

12 رواه ابن ماجه في سننه والقضاعي في مسند الشهاب. انظر: محمد بن يزيد بن ماجه القزويني: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، كتاب الآداب، باب رقم 3، حديث رقم 3671، ج2، ص1211. أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي: مسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1407هـ/1986م)، حديث رقم 665، ج1، ص389.

13 من الآيات في ذلك: قوله تعالى: ((ووصينا الإنسان بوالديه حُسناً)) [سورة العنكبوت: الآية 8]. وقوله تعالى: ((ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير)) [سورة لقمان: الآية 14].

14 سورة الإسراء: الآيتان (23، 24).

15 انظر: عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، (دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ج4، ص473.

ويظهر من خلال الآيتين السابقتين الحث على أدب الخطاب مع الوالدين من خلال عدة أمور:

1. **عدم استخدام الكلمات الجارحة في حقهما**

قال تعالى: ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾. وكلمة (أف) هي صوتٌ يدل على التضجر[16]. والمراد من ذلك أن لا يقول الولد لوالديه أية كلمة فيها جرح لمشاعرهما وأحاسيسهما، مهما كانت هذه الكلمة بسيطة، وحتى لو كانت كلمة (أف).

قال ابن عاشور: "وليس المقصود من النهي عن أنْ يقول لهما (أف) خاصة، وإنما المقصود النهي عن الأذى الذي أقله الأذى باللسان بأوجز كلمة. وبأنها غير دالة على أكثر من حصول الضجر لقائلها دون شتم أو ذم، فيُفهم منه النهي مما هو أشد أذى بطريق فحوى الخطاب بالأولى"[17].

2. **عدم زجرهما ومجادلتهما**

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾. والنَهْر: هو الزَجْرُ بغلظة[18]. يُقال: نَهَرَه وانْتَهَرَهُ؛ أي استقبله بكلام يزجره به[19]، ومنه قوله تعالى: ﴿**وأما السائل فلا تنهر**﴾[20]. وفي النهي عن نهر الوالدين توجيه للولد بأن لا يَغلُظ على والديه بالزجر والصوت الشديد القاسي، إذا كره منهما شيئاً.

ويُلحظ هنا أنَّ النهي عن النَهْر جاء بعد النهي عن التأفُّف، فما السرُّ في ذلك إذا كان النهي عن التأفف يدخل فيه النهي عما هو أكبر من ذلك ؟

يقول الرازي جواباً على ذلك؛ مبيناً الفرق بين النهيين: "المراد من قوله تعالى: «فلا تقل لهما أف» المنع من إظهار الضجر بالقليل أو الكثير. والمراد من قوله تعالى: «ولا تنهرهما» المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليه والتكذيب له"[21].

---

16 انظر: إسماعيل حقي البرسوي: روح البيان، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، ج5، ص147.

17 محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط1، 1420هـ/2000م)، ج14، ص70.

18 انظر: أحمد بن يوسف السمين الحلبي: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد التونجي، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1414هـ/1993م)، ج4، ص261. الشيخ فخر الدين الطريحي: مجمع البحرين، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1989م)، ج3، ص507.

19 انظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ/1989م)، ج2، ص312.

20 سورة الضحى: الآية 10.

21 فخر الدين محمد بن محمد الرازي: مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج10، ص(62- 63).

فإنه ليس من أدب الخطاب أن يدخل الولد في جدال مع والديه، فيقسو عليهما بالكلام، ويشتدّ في الحديث، حتى وإن خالفاه الرأي، ولم يعجبه رأيهما في قضية معينة.

### 3. الحث على مخاطبتهما بالقول الكريم

قال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾. والقول الكريم هو القول الجميل الذي يقتضيه حُسْنُ الأدب، ويستدعيه النـزول على المروءة. فلا يسميهما باسمهما، ولكن كما ورد عن عمر بن الخطاب، أن يقول لهما: يا أبتاه ويا أماه. ومن القول الكريم أيضاً: أن لا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يجهر لهما بالكلام، بل يكلمها بالهمس والخضوع[22].

قال الشوكاني: "قولاً كريماً: أي لطيفاً أَحْسَنَ ما يمكن التعبير عنه من لطف القول وكرامته، مع التأدب والحياء والاحتشام"[23].

والقول الكريم هنا نوع من التصرُّف واللباقة في معاملة الوالدين خاصة حال المرض أو الشيخوخة التي قد تُقعِد صاحبها، والأولاد هم أَوْلَى الناس بإعالة الوالدين في هذه الظروف، حيث سيبدو من الإنسان مَا لا يصح الإطلاع عليه إلا لأولاده وأقرب الناس إليه. وهو مع ذلك يكون مُحبّاً لوالده، رفيقاً به، حانياً عليه لا يتبرّم به، ولا يتضجر منه. فمثلاً: قد يزورك أبوك في بيتك وقد يحدث منه أنْ يكسر شيئاً من لوازم البيت، فتقول له في هذا الموقف: فِدَاك يا والدي، أو تقول: لا عليك لقد كنت أفكر في شراء واحدة أحدث منها. أو غيره من القول الكريم الذي يحفظ للوالدين كرامتهما، ولا يجرح شعورهما[24].

### 4. الدعاء لهما بالرحمة

قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾. فمن أدب الولد مع والديه، أن لا يكتفي بالمعاملة الرحيمة لهما، بل يتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء أن يرحمهما، سواء أكان ذلك في وجودهما أو غيبتهما، في حياتهما أو موتهما. يقول الشيخ سعيد حوى: "ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها، وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية، واجعل ذلك جزاءً لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك"[25].

---

22 انظر: المرجع السابق، ج10، ص63. البرسوي: روح البيان، ج5، ص147.

23 محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، ج3، ص275.

24 انظر: الشعراوي: تفسير الشعراوي، ج15، ص211.

25 سعيد حوى: الأساس في التفسير، (القاهرة: دار السلام، ط5، 1419هـ/1999م)، ج6، ص3060.

وفي السنّة النبوية ما يؤكد على ضرورة التأدب في خطاب الوالدين. فمن أدب الولد مع والديه، أن يتأدب في كلامه مع الآخرين، ويحفظ لسانه عن الطعن في آبائهم، لئلا يكون كلامه سبباً في جلب المسبَّة والشتيمة لوالديه. وقد ثبت في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه». قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟! قال: «نعم، يسبُّ أبا الرجل، فيسبُّ أباه، ويسب أمَّه، فيسب أمَّه»[26].

وقد كان التأدب في خطاب الوالدين، خُلُق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وأهل الفضل من بعدهم. لدرجة أنَّ الواحد منهم كان يخجل أنْ يستفسر من والديه عن الكلام الصادر منهما، أدباً واحتراماً لهما.

«قالت عائشة رضي الله عنها: كان رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبَرَّ مَنْ كان في هذه الأمة بأمهما: عثمان بن عفان، وحارثة بن النعمان، رضي الله عنهما؛ أما عثمان: فإنه قال: ما قدرتُ أتأمل وجه أمي منذ أسلمت. وأما حارثة: فكان يطعمها بيده، ولم يستفهمها كلاماً قط تأمر به، حتى يسأل مَنْ عندها بعد أن يخرج: ماذا قالت أمي؟»[27].

وها هو أبو هريرة رضي الله عنه، كان كلما أراد أنْ يخرج من عند أمه، وقف على بابها، فقال: السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته. فتقول: وعليك يا بني ورحمة الله وبركاته. فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيراً. فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيرة، ثم إذا أراد أن يدخل، صنع مثله[28].

وذكر الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام محمد بن سيرين، أنه "كان إذا كان عند أمه لو رآه رجل لا يعرفه، ظن أن به مرضاً من خفض كلامه عندها"[29].

وذكر الذهبي أيضاً، في ترجمة عبد الله بن عون: "أنَّ أمه نادته، فعلا صوتُه صوتَها، فخاف فأعتق رقبتين"[30].

---

26 مسلم بن الحجاج النيسابوري: الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، كتاب الإيمان، باب رقم 38، حديث رقم 89، ج1، ص92.

27 أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي: مكارم الأخلاق، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، (القاهرة: مكتبة القرآن، 1411هـ/1990م)، ص75.

28 البخاري: الأدب المفرد، باب جزاء الوالدين، رقم (12)، ص8. ضعفه الألباني.

29 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط9، 1413هـ)، ج4، ص620.

30 المرجع السابق، ج6، ص366.

وقال بشر بن الحارث: "ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله، والنظر إليها أفضل من كل شيء"[31].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما لرجل يوصيه ببر أمه: "فوالله لئن أَلَنْتَ لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلنَّ الجنة ما اجتنبت الكبائر"[32].

ولابن عبد البر كلامٌ جميل في الحث على حسن معاملة الوالدين، والتأدب في الكلام معهما. يقول: "وبِرُّ الوالدين فرضٌ لازم، وهو أمرٌ يسيرٌ على من يسَّره الله له. وبِرُّهما: خفض الجناح، ولين الكلام، وألا ينظر إليهما إلا بعين المحبة والإجلال، ولا يعلو عليهما في مقال، إلا أن يريد إسماعهما، ويبسط أيديهما في نعمته، ولا يستأثر عليهما في مطعمه ولا مشربه. ولا يتقدم أحد أباه إذا مشى معه، ولا يتقدمه في القول في مجلسه، فيما يعلم أنه أولى به منه، ويتوقى سخطهما بجهده، يسعى في مسرتهما بمبلغ طاقته. وإدخال الفرح عليهما أفضل أعمال البر. وعليه أنْ يُسرع إجابتهما إذا دعواه، أو أحدهما، فإن كان في الصلاة النافلة خففها وتجاوز فيها، وأسرع إجابتهما. ولا يقول لهما إلا قولاً كريماً. وحقٌّ عليهما أن يعيناه على برّهما بلين جانبهما، وإرفاقه بذات أيديهما، فما وصل العباد إلى طاعة الله، وأداء فرائضه إلا بعونه لهم على ذلك"[33].

نخلُص مما سبق إلى أنَّ الإسلام قد جعل للوالدين مكانة خاصة، واعتباراً مميزاً، فحث على التأدب معهما في الخطاب، والخضوع لهما، والابتعاد عن كل كلام من شأنه أن يؤدي إلى إساءة العلاقة معهما. لأن طيب العلاقة بين الأولاد والآباء، أساس متين، في بناء مجتمع تسوده الفضيلة ويعمُّه الخير والصلاح.

**ثالثاً: أدب الخطاب مع الأبناء**

المسلم مسؤولٌ عن أهله وولده. قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنُوا قُوا أنفسَكم وأهليكم ناراً وقودها النَّاس والحجارة**﴾[34]. ويندرج ضمن هذه المسؤولية، مسؤولية الآباء في اختيار أسلوب الخطاب المناسب في حديثهم مع أولادهم، والذي ينبغي أن يكون أسلوباً ناجحاً، يصدر بلغة محببة يفهمها الأولاد. فعن طريق الخطاب المنطقي السليم

---

31 أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ)، رقم 7858، ج6، ص186.

32 أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط3، 1409هـ/1989م)، رقم 8، ص17.

33 يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي: الكافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ)، ص613.

34 سورة التحريم: الآية 6.

يستطيع الأبوان أن يثيرا اهتمام ابنهما، وأن يغرسا فيه القيم والأفكار، وأنْ يعلّماه التفكير العميق والمنطق الحسن. فالأسلوب جزء من الفكرة، والأسلوب الحسن يزيد الفكرة حُسناً، أما الأسلوب الخشن فيُضيع المضمون الحسن.

وما أجمل أن يمهّد الأب إذا أقدم على موعظة ابنه بكلماتٍ رقيقة، فيخاطب القلب بالمحبة، قبل أن يخاطب العقل بالمعرفة، مقتدياً بمنهج المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم حين وعظ معاذ بن جبل يوماً، فأخذ بيده وقال: «يا معاذ، إني لأحبك» فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وأنا والله أحبك. فقال: «أوصيك يا معاذ لا تَدعَنَّ في دُبُر كلّ صلاةٍ أنْ تقول: اللّهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[35].

وفي هذا الحديث نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مهّد لموعظته، وأثار اهتمام معاذ نحوها، من خلال أمور[36]:

1. اللمس الحاني، حينما أخذ بيده.
2. استخدام أداة النداء (يا)، ومناداته باسمه (معاذ)، وذكر الاسم أمرٌ محببٌ لصاحبه ويجلب انتباهه.
3. ذكر كلمة (الحب) التي يتفتّح لها كلّ قلب.
4. استخدام أسلوب التأكيد: فأكّد على الحب مقسِماً بالله (والله)، وأكّد ثانية بقوله (إني)، وثالثةً بلام التوكيد (لأُحبك).

فموعظة النبي صلى الله عليه وسلم جاءت بلطف القول، فماذا بوسع معاذ أن يَصنع أمام هذا الأدب النبوي إلا أن يقول: لبيّك يا رسول الله ؟. والنبي صلى الله عليه وسلم يرسم لنا بهذا الأسلوب معالم المنهج النبوي في أدب الخطاب، وهو المنهج الذي ينبغي أن يسلكه كلّ أب في مخاطبته ابنه.

وفي القرآن الكريم نجد أنّ أدب الآباء في خطاب الأبناء موضوعٌ ظاهرٌ لكلّ ذي نظر. فها هو لقمان الحكيم الأب يضع أمام الآباء نموذجاً صالحاً لما يجب أن تكون عليه علاقة الأب بابنه، فيقوم بواجب التربية نحو ابنه لتنشئته على الخير والصلاح. قال تعالى:

**﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**[37].

---

35 أخرجه الطبراني. انظر: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلمي، (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1404هـ/1983م)، حديث رقم 110، ج20، ص60.

36 مقالة على الانترنت بعنوان: "في البدء كان الحوار". انظر: http://saaid.net/Doat/dali/18.htm لعبد العظيم الدالاتي

37 سورة لقمان: الآية 13.

الممعن بفكره في هذه الآية، يستنبط منها دستوراً شاملاً في أدب خطاب الآباء للأبناء. إن القضية الأولى التي ركز عليها لقمان في وصيته لابنه هي قضية التوحيد، فحذره أن يلوّث فطرته النقية بالشرك مع الله، لأن الحفاظ على طهارة النفس، ونقاء الفطرة، وصفاء العقيدة، عامل قوي في تشكل الشخصية تشكلاً سوياً، بعيداً عن المؤثرات والرواسب السابقة، فلا يخفى ما تتركه الانطباعات السابقة من آثار نفسيةٍ في الشخصية يصعب محوها وإزالتها. ثم بين له خطورة الشرك وعاقبته {إن الشرك لظلم عظيم} لما فيه من التعدّي ومجانبة الحق. وهنا نجد أنّ لقمان قَرَن النهي بعلّته؛ ليكون أدعى إلى الاستجابة في نفس ابنه، فيبتعد عن الشرك وعمله عندما يدرك خطورته وعواقبه. كما أن أسلوب التحذير من الفعل قبل الوقوع فيه، من أرقى الأساليب التربوية، لأن التحذير من الشيء قبل الوقوع فيه والابتعاد عنه، أسهل من قلعه وإزالته بعد الوقوع فيه[38].

ولا يفوتنا هنا التنبيه إلى أسلوب التلطّف والتودد من لقمان لابنه وهو يخاطبه [يا بني] شفقة عليه ومحبة له، وهو ما يحفز الابن إلى الاستجابة. وفي هذا الأسلوب من الخطاب استمالة للابن لاستماع ما يُلقى إليه على أنه يخصه ويعنيه، وفيه إشعار الابن بالاهتمام به. قال ابن عاشور: "والتصغير فيه لتنزيل المخاطب الكبير منزلة الصغير كناية عن الشفقة به والتحبب له، وهو في مقام الموعظة والنصيحة إيماء وكناية عن إمحاض النصح وحب الخير، ففيه حث على الامتثال للموعظة"[39].

وكذلك فإن النصيحة حيث جاءت من الأب لابنه، فهي نصيحة غير متهمة، مبرّأة من كل شائبة، لا يُقصد بها إلا الخير ومصلحة الابن، وهذا مؤثر نفسي كبير يحمل الابن على قبول النصيحة والعناية بها .

والأمثلة على هذا المنهج في القرآن الكريم كثيرة، غير أننا نكتفي بهذا المثال الذي نستنبط منه التوجيه الإلهي إلى الطريقة اللطيفة الصحيحة المنتجة في تربية الأبناء وتوجيههم، وإزالة الحجاب بيننا وبينهم، من دون تعنيف أو قسوة أو شدة، وبذلك تستريح الأنفس وتزول الحواجز بين الآباء والأبناء. ونحن في حياتنا اليومية نعلم أن كلمة واحدة قد تؤدي إلى أضعاف ما فيها من السوء، وكلمة أخرى تهوّن الأمور العظيمة وتجعلها يسيرة.

---

38 مقالة على الانترنت بعنوان "الملامح التربوية في مواعظ لقمان" انظر: http://www.islamona.org/mawaezlokman.htm لزهير الأتاسي

39 ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج21، ص101.

## المبحث الثاني

## إبراهيم عليه السلام وأدب الخطاب مع أبيه وابنه

الأنبياء والرسل هم أكملُ الناس أدباً في الخطاب، ولقد مثّل إبراهيم -عليه السلام- نموذجاً رائعاً في أدب الخطاب، وهو قبل أن يضرب لنا هذا المثل في خطابه مع الناس، فقد ضربه في خطابه مع الله تعالى. قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام:

**﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إلا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾**[40].

فالمتأمِّل للنصِّ السابق يجدْ أنَّ إبراهيم عليه السلام كان دائماً يُسند الفعل إلى الله سبحانه وتعالى، إلا في حالة واحدة هي حالة المرض، حيث أسند الفعل إلى نفسه؛ فقال: "وإذا مرضتُ فهو يشفين". ولم يقل: والذي يمرضني، كما هو السياق. فقد أسند المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله تعالى، مع أنَّ كلا الأمرين من عند الله عزَّ وجل، وذلك من حُسن أدبه مع الله، وتنـزيهاً لله أنْ يُنسب إليه قبيح.

قال القرطبي: "فأسندَ الفعل قبلُ وبعدُ إلى الله تعالى، وأسْنَدَ إلى نفسه المرض، إذ هو معنى نقص ومصيبة، فلا يُضاف إليه سبحانه وتعالى من الألفاظ إلا ما يُستحسن منها دون ما يُستقبح"[41].

وهذا جانب واسع لا يتسع المجال هنا للاستطراد فيه، حيث سنتطرق هنا لجانب من أدب إبراهيم –عليه السلام- في خطابه مع أبيه الكافر أولاً، وخطابه مع ابنه المؤمن ثانياً.

**أولاً: أدب إبراهيم –عليه السلام- في خطابه مع أبيه**

لقد كان من أبرز مواجهات إبراهيم عليه السلام مع قومه، تلك المواجهة التي دارت مع أبيه، حيث رأى إبراهيم أنَّ من أَوْلى مهماته في الدعوة إلى الله أنْ يبدأ بدعوة أبيه، لأن بقاء والده على الكفر ربما يخلق نقطة ضعف في موقفه، وقد يسبب له بعض المصاعب التي تجلب له مشاكل غير منـتظرة. ولأنه يريد إنقاذ والده من الكفر والضلال قبل الآخرين، فهو أقرب الناس إليه، ويريد لـه أن يكون في مقدمة المؤمنين بدعوته. فدعوة الأقرباء إلى الإيمان هي الأسلوب المتَّبع في دعوة الأنبياء، فهم أولى الناس بهذا الخصوص.

---

40 سورة الشعراء: الآيات (77- 82).

41 القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص39.

وتبدأ دعوة إبراهيم لأبيه بتلطّف شديد، واستمالة حانية، مع مراعاة الأدب وحق الأبوَّة. كيف لا؟ والمدعو والده، وهو شديد الحرص على هدايته وحمايته من وقوع العذاب عليه. لذا فقد كان عليه السلام ينتقل من حجة إلى حجة، لعلَّ ذلك ينير بصيرة والده ويهديه إلى سواء السبيل، فيترك عبادة الأصنام وصناعتها، ويعبد الله وحده.

وبالنظر في الآيات القرآنية التي تتحدث عن موقف إبراهيم مع أبيه، فإننا نلحظ كيف أنَّ إبراهيم قد استعمل في خطابه أحكم الأساليب وأرقّها وأوضحها في إحقاق الحق وإبطال الباطل. قال تعالى:

**﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾**[42].

وبعد التأمل في هذه الآيات ودراستها دراسة تحليلية، فإنه يظهر لنا أدب إبراهيم عليه السلام في كل كلمة يخاطب بها أباه، وهذا واضحٌ من خلال الأمور التالية:

**1. مخاطبته لأبيه قائلاً: "يا أبتِ" وتكرار ذلك**

يَظهر في النص القرآني السابق، أنَّ إبراهيم عليه السلام توَجَّه بالنداء إلى أبيه قائلاً: "يا أبتِ". و"أبتِ" أصلُها: أبي، والتاء عِوَضٌ عن ياء الإضافة، لذلك لا يُقال: أبتي، لئلا يُجمع بين العِوَض والمعَوَّض منه[43]. وهذه الصيغة –كما يقول البيضاوي-: "تُذْكَرُ للاستعطاف"[44].

ويُلحظ أنَّ إبراهيم قد كرر النداء بقوله: "يا أبتِ" أربع مرات، وما ذلك إلا ليثير في أعماق والده مشاعر العطف والحنان، ويذكِّره بأعظم صلة وألصق قرابة، وهي الأبوة. ولا غرابة في ذلك فإنه من الطبيعي أن يكون الولد مُحباً لأبيه، حريصاً على مصلحته، يريد له الخير والمجد، ويسوؤه أنْ يُنسَب إليه ما لا يليق، لأنَّ ذلك سيعود عليه،

---

42 سورة مريم: الآيات (41- 50).

43 انظر: عبد الله بن أحمد النسفي: مدارك التنزيل، (دون معلومات نشر)، ج2، ص66. البيضاوي: أنوار التنزيل، تحقيق: عبد القادر عرفات حسونة، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1416هـ/1996م)، ج4، ص18.

44 المرجع السابق.

فالولد يُنْسَب إلى والده. وإبراهيم يشير إلى هذا المعنى بقوله: "يا أبت"، ففي ذلك إبعادٌ لكلِّ شبهة من شبهات الانتقاص أو التشهير أو الإساءة أو ما إلى ذلك[45].

وفي عدول إبراهيم عن ذكر اسم أبيه في مناداته إيَّاه أدبٌ وأيُّ أدب، وهو بذلك يُعدُّ قدوةً لنا في طريقة مناداتنا لآبائنا، فلا ينبغي بأيِّ حال من الأحوال للولد أنْ يخاطب أباه فيناديه باسمه المجرد دون إشعاره بحقِّه عليه. وقد لَفت أبو هريرة رضي الله عنه نظرنا إلى هذا الأمر حين قال: «مِنْ حَقِّ الوالد على وَلَده أنْ لا يُسميه باسمه»[46].

**2. صيغة الاستفهام في إثبات إبراهيم لبطلان عبادة والده**

في الصيغة التي استخدمها إبراهيم عليه السلام لإثبات بطلان ما يعبد والده، أدبٌ عظيم، حيث لم يبدأ بتسفيه معبوداته وتحقير آلهته، وذلك كي لا ينفر منه ابتداءً، فينقطع الحوار بينهما قبل استرساله، بل رَتَّب ذلك أحسن ترتيب، وساقه في أحسن صورة، فنبهه إلى عبادته بصيغة الاستفهام، ليتبين بنفسه خطأ عمله وسوء فعله. فقال له: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ فهو يخاطبه بأسلوب عقلي منطقي مقنع كلَّ الإقناع، يخاطب فطرته وعقله، ويدعوه إلى التدبّر والنظر والتأمل، فيقول له: لم تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر ولا يُغني عنك شيئاً ؟

يقول البيضاوي: "دعاه إلى الهدى وبيَّن ضلاله واحتج عليه أبْلَغ احتجاج وأرشقه برفق وحُسن أدب، حيث لم يصرِّح بضلاله بل طلب العلَّة التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح، ويأبى الركون إليه فضلاً عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب، ونبَّه على أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح، والشيء لو كان حياً مميزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على النفع والضر لاستنكف العقل القويم عن عبادته، وإنْ كان أشرف الخَلق كالملائكة والنبيين، لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة، فكيف إذا كان جماداً لا يسمع ولا يبصر"[47].

**3. تواضع إبراهيم في تزكية نفسه**

انتقل إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه إلى أسلوب آخر غاية في الأدب، حيث تواضع في تزكية نفسه، ولم يَصِفْ أباه بالجهل المفرط ولا نفسَه بالعلم اللامحدود. فقال:

---

45 انظر: محمد بن لطفي الصباغ: خواطر في الدعوة إلى الله، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1411هـ/1990م)، ص213. فاروق حمادة: آباء وأبناء: ملامح تربوية في القرآن الكريم، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط1، 1418هـ/1997م)، ص 38.

46 هناد بن السري: الزهد، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط1، 1406هـ)، ج2، ص 478.

47 البيضاوي: أنوار التنزيل، ج4، ص18.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾.

يقول الآلوسي: "ولم يسم أباه بالجهل المُفْرِط وإنْ كان في أقصاه، ولا نفسَه بالعلم الفائق وإنْ كان كذلك، بل أبرز نفسَه في صورة رفيقٍ له يكون أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق، فاستماله برفق، حيث قال: فاتبعني أهدك صراطاً سَوِيَّاً" [48].

وفي قوله: "جاءني" أدبٌ آخر وتواضعٌ آخر، ففيه إشارة إلى أنَّ هذا العلم جاءه ولم يطلبه، فهو وحيٌ من الله الذي يعلم حيث يجعل رسالته، وليس من قبيل العلم الذي يُحَصَّل بالجدِّ والمثابرة. أمَّا والدُه الذي كان يرى نفسه على علم عظيم -لأنه كبير ديانة قومه- فلم يَحْصُل على مثل هذا العلم، ولذلك قال له: "ما لم يأتك" لأنَّ العلم المقصود هنا هو علم الوحي والنبوة[49].

وفي هذا من الأدب مع الله ما لا يخفى، إذْ يَنسب إبراهيم عليه السلام ما لديه من علم إلى الله عز وجل لا لنفسه.

**4. استخدام إبراهيم للأسلوب التعليلي**

من المعاني العظيمة التي نلمحها في النص السابق، أسلوب التعليل والتفسير الذي لجأ إليه إبراهيم عليه السلام في حواره مع والده، حيث نلحظ أنَّ هذا الأسلوب مرتبط بكلِّ أمرٍ أو نهي وجَّهه إبراهيم لوالده.

فإبراهيم حين دعا أباه إلى اتباعه، علل له ذلك بما آتاه الله من علم. وحين نهاه عن عبادة الأصنام، برر ذلك بعدم امتلاكها لأبسط معالم الحياة، وهي السمع والبصر والقوّة. وحين نهاه عن الجري وراء الشيطان، علل ذلك بما سبق للشيطان مِنْ عصيانٍ للرحمن. وحين حذَّره من ولاية الشيطان والانقياد له، قَرَن ذلك بالخوف عليه من عقاب الله الذي يحب لعباده كل خير[50].

هذا الأسلوب التعليلي التفسيري لكل موقف، ضروري جداً في حوار الأبناء مع الآباء ونصيحتهم لهم ودعوتهم إياهم، حتى تقترن النصيحة بالإقناع، وحتى لا يُستنكر على الابن مخاطبة أبيه، ولا يُستهجن منه ذلك.

وإذا كان الأب لخبرته وتجاربه وتقدمه في السن ومكانته من ابنه قد لا يُطالب دائماً بتعليل النصيحة وتفسير الموعظة، فإن الابن على خلاف ذلك بلا شك، إذْ عليه أنْ يلتزم جانب الوضوح التام مع الاستلطاف الكامل حتى لا ينفر

48 أبو الفضل محمود الآلوسي: روح المعاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج16، ص97.

49 انظر: عبد الصمد عبد الله محمد: خطاب الأنبياء، (القاهرة: مكتبة الزهراء، ط1، 1418هـ/1998م)، ص 38.

50 انظر: عبد الله نجيب سالم: نحو كلمة سواء وحوار كريم، (وزارة الأوقاف، ط1، 1405هـ/1985م)، ص37.

عنه الأب لوحشة في المنطق أو إبهام في الدعوة، وما أسرع نفور الآباء عن اتباع خُطى الأبناء حتى ولو كانوا على حق[51].

يقول الآلوسي في هذا الصدد: "ولقد سَلَكَ عليه السلام في دعوته أحسن منهاج، واحتج عليه أبدع احتجاج، بحسن أدب وخُلُق ليس له منهاج، لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية عن سبيل الرشاد " [52].

**5. إظهارُ إبراهيم خوفَه من المصير المتوقَّع لوالده**

بعد أنْ نهى إبراهيم أباه عن عبادة الشيطان، بدأ يحذره عذاب الرحمن الذي لا يصيب عذابه إلا من وصلت فظاعة جُرمه حدّاً جعله يُحْرَم من رحمة الله الواسعة، ولعلَّ هذا هو السرّ في الإتيان باسم الرحمن هنا دون غيره من أسماء الذات العليّة، وذلك للدلالة على أنَّ إمهال العاصي إنما هو عن رحمة لا عن عجز. قال تعالى:

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾

فهو مشفق على أبيه من عذاب الله، حتى لا يكون قريناً للشيطان في العذاب.

ونلحظ هنا أنَّ إبراهيم لم يواجه أباه بأنَّ العذاب لاحقه، والعقاب مدركه، بل عبَّر عن ذلك بالخوف المشعِر بالظن دون القطع، تأدُّباً مع أبيه ومجاملة له، وإبقاءً لبصيص الأمل والرجاء في نفسه، ليعمل على الإفلات من قبضة ذلك العذاب بترك الشرك بالله والتمسك بحبل التوحيد المتين.

ولا يخفى ما في ذلك أيضاً من الأدب مع الله، لما فيه من عدم القطع في أمرٍ هو من تصرف الله الذي يفعل ما يشاء، فإن شاء عذَّبه وإنْ شاء تركه[53].

وهكذا فإنَّ إبراهيم عليه السلام، يَبْلغ غاية الأدب في كشفه لضلال أبيه، وبيان انحرافه عن الصراط المستقيم. إنه يقول الحق بكل وضوح وصراحة، ويصرّ عليه أشدّ الإصرار، ولكنه يسلك لذلك أرقّ الأساليب، ويثير في نفس أبيه أرقّ المشاعر والعواطف، فهو ابنٌ ناصح ودود مشفق رحيم.

**6. موقف والد إبراهيم من هذه الدعوة**

على الرغم من الأسلوب الحكيم الهادئ المهذَّب الذي خاطب به إبراهيم والده، إلا أنَّ ردَّ والده عليه كان في غاية العناد والإنكار والتهديد والقسوة، فقال:

---

51 انظر: المرجع السابق، ص38.

52 الآلوسي: روح المعاني، ج16، ص97.

53 انظر: عبد الصمد عبد الله: خطاب الأنبياء، ص40.

﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾

أي: قال له والده على سبيل التهديد والزجر: أتاركٌ أنت عبادة آلهتي يا إبراهيم وكارهٌ لها، ومنفِّرٌ للناس عنها، وداعٍ إيّايَ إلى عبادة إلهك؟ كلا لن أطيعك في ذلك، وسأستمر على عبادة هذه الأصنام، وإذا لم تكفَّ عن دعوتي إلى دينك فسأرجمك بالحجارة، وابتعد عن وجهي زمناً طويلاً فإني لا أريد أنْ أراك[54].

وهذا الموقف من والد إبراهيم، يحمل كلَّ معاني العناد والإصرار، ويظهر ذلك في كلِّ كلمةٍ تَفَوَّه بها[55]:

- فقوله: "أنتَ" فيه معنى التصغير والتحقير.
- وقوله: "آلهتي" فيه إظهار العزَّة بالانتماء إلى الباطل والمحافظة عليه.
- وقوله: "يا إبراهيم" تَكْمِلة للإنكار والتعجب، فمع أنَّ إبراهيم حاضرٌ بين يديه إلا أنه قَصَدَ تنبيهه إلى سوء فعله وأنه بعيد عن إدراك عمله وقوله، فنزَّله منزلة البعيد حيث استخدم حرف النداء (يا) لإرجاع رشده إليه في زعمه. ولم يقل له: يا بني، كما كان إبراهيم يقول له: يا أبتِ.
- وقوله: "لأرجمنَّك" جاء في صيغة التأكيد، ليشير إليه بأنَّ مصيره سيكون الموت المحقق إنْ لم يتراجع عن طريقه الذي يسلكه.
- وقوله: "واهجرني مليَّاً" قرارٌ بإعلان الهجران والمقاطعة الطويلة، فلا مكالمة ولا معاشرة، ولا مكان للحنان والعطف والإحسان.

وهكذا قابل الأب الكافر أدب ابنه المؤمن بالفظاظة والغِلظة والتهديد، شأنه في ذلك شأن كل جاهل ومكابرٍ عنيد.

### 7. ردُّ إبراهيم على جحود أبيه بالسَّلام

لم يتراجع إبراهيم عن موقفه مع أبيه، فعلى الرغم من تلك الكلمات القاسية التي وُوجه بها، إلا أنه قابل كلَّ ذلك بالمنطق الجميل وبالأدب السامي. فقال له: ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ "أي: قال إبراهيم لأبيه الذي هدَّده وتوعَّده بالرجم بالحجارة: لك مني يا أبتِ السلام الذي لا يخالطه جدال أو أذى، ولك مني الوداع الذي أقابل معه إساءتك بالإحسان، وفضلاً عن كل ذلك المغفرة من ربي، إنه كان بي باراً كثير الإحسان"[56].

---

54 انظر: محمد سيد طنطاوي: أدب الحوار في الإسلام، (مصر: دار نهضة مصر، د.ط، 1997م)، ص (153- 154).

55 انظر: حمادة: آباء وأبناء، ص40.

56 طنطاوي: أدب الحوار في الإسلام، ص154.

لقد أكمل إبراهيم خَطَّه المرسوم ونهجه المعلوم في مقابلة العنجهية والنخوة الجاهلية بالرفق واللين وسعة الصدر، وحُسن الخلق الذي كان دأب المؤمنين الصالحين، وخاصة مع الوالدين والأهل والأقربين، فقال: ﴿سلامٌ عليك﴾ لينهي خطابه لأبيه بهذه الكلمة الطيّبة التي تتضمن المعاني السامية النديّة. وانفضَّ اللقاء، ووَعَدَ إبراهيمُ أباه بما لَهُ مِنْ حقِّ الأبوة أنْ يستغفر له الله تعالى. ووَفَّى إبراهيم لأبيه بوعده، فكان يستغفر له ويدعو الله لهدايته. وجاء هذا الوعد من إبراهيم لأبيه بالاستغفار، نتيجة شعوره بالأمل في أنْ يتراجع أبوه عن موقفه ويرجع إلى الله، وليس نتيجة الشعور بأن القرابة تمثل امتيازاً يميز أباه عن غيره. ولذا فقد أعلن البراءة منه بعد وضوح موقفه تماماً، وظهور عداوته لله، ويأسه من إيمانه. وفي ذلك أُسْوةٌ للمتبعين، ومنهجٌ للمؤمنين إلى يوم الدين، وأنه لا موالاة بين المؤمنين والكافرين. قال تعالى:

**﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾**[57].

ونحن في مجال الدعوة، نستطيع الإفادة من هذا الأسلوب في مواجهة عداوة الأشخاص الذين نرتبط بهم ببعض الروابط العاطفية من نَسَبٍ وغيره، حيث يمكننا شَحْنُ كلامنا معهم بالمشاعر العاطفية التي تُسهِّل المهمة بما يثير لديهم من أحاسيس عاطفية من جهة، ومن انسجام مع الأجواء الحميمة للكلام من جهة أخرى، دون الانجراف مع العاطفة لمصلحة الكفر والضلال. والأسلوب العاطفي في مثل هذا الأمر لا يشكل استجابة لحالة نفسية عفوية، بل يرتكز على منهج يعتبر العاطفة جزءاً منه، ويخضع لما يخضع له الأسلوب من مرونة ووعي وثبات.

وعلى ضوء هذا، نجد أنَّ من واجبنا إعطاء الأسلوب بعض القوة في حالات أخرى، تقتضي منَّا أنْ نواجه الآخرين بشدّة، إذا ما أرادوا استغلال الجانب العاطفي لأغراضٍ في غير صالح الدعوة إلى الله، تماماً كما كان عليه الأسلوب الآخر لإبراهيم الذي أشرنا إليه، ليظل الأسلوب منسجماً مع خط الحكمة الذي يريد الله للدعوة أنْ تسير عليه. وقد نشعر في نهاية المطاف بالحاجة إلى خَلْق الأجواء الروحية في بعض المواقف، من خلال روعة المناجاة وخشوع الابتهال الذي يمارسه الداعية للتأثير النفسي على الآخرين، عندما يريد أنْ يغرس في نفوسهم مبادئ الدين وتعاليمه[58].

**ثانياً: أدب إبراهيم –عليه السلام- في خطاب ابنه**

إذا كان موقف إبراهيم عليه السلام مع أبيه يُمثِّل سُمُوَّاً في الأدب من جانب إبراهيم، وسوءاً في الردِّ من جانب أبيه. فإنَّ موقفه مع ولده إسماعيل يُمثِّل أدباً متبادلاً بين الطرفين. كيف لا؟ وإسماعيل عليه السلام هو رفيقُ أبيه في

57 سورة التوبة: الآية 114.

58 انظر: محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، (بيروت: دار الملاك، ط6، 1421هـ/2001م)، ص (264- 265).

مهمته الرسالية وفي ابتهالاته الروحية، كما هو رفيقه في حياته العامة،كابْنٍ بارٍّ يرافق أباه ويعاونه في أمور الحياة. وهذا ما نفهمه من قوله تعالى:

**﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾**[59].

أما الموقف الذي سنتحدث عنه هنا، فهو ذلك الحوار القصير الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل في قصة الذبح التي وردت في سورة الصافات. قال تعالى:

**﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾**[60].

على الرغم من قِصَر جُمل هذا الخطاب الدائر بينهما، إلا أنه في غاية التركيز، ويصوّر الموقف تصويراً تاماً، ويتناول القضية من جميع جوانبها، إنه يصوّر تجربةً بل موقفاً من أشدِّ المواقف صعوبة في حياة الإنسان، فقد رأى إبراهيم في المنام أنه يذبح ولده، وكانت هذه الرؤيا بمثابة وحي صادر من الله، عليه أنْ يقوم بتنفيذها، وهذا ابتلاء عظيم للاثنين معاً.

ولن أقف هنا كثيراً مع تلك المعاني النفسية العظيمة التي يوحي بها هذا الحدث، ولكنني سأسلّط الضوء على تلك الكلمات القليلة التي دارت بين الطرفين في ظلِّ هذه الظروف المشحونة، في محاولة لاستخلاص جوانب أدب الخطاب منها.

والممعن في النص القرآني السابق، يجد أنَّ هذا الأدب كان ظاهراً في اتجاهين:

**<u>الأول: الجوانب الأدبية في خطاب إبراهيم</u>**

1. **التعبير بلفظ "يا بني"**

59 سورة البقرة: الآيات (127- 129).

60 سورة الصافات: الآيات (99- 107).

استخدم إبراهيم -عليه السلام- في خطابه لولده تعبير "يا بني" ، وهو التعبير الذي جاء ليبرز معنى البنوَّة مصحوبة بالنداء والتصغير الدال على التحبب، لِمَا في هذا التعبير -في هذا الموقف- من الوقع البالغ التأثير، وكأنَّ إبراهيم قَبْل أنْ يعرض على ولده هذا الأمر الفظيع أراد أنْ يُنبهه إلى أنه ليس قاسياً ولا مجرَّداً من الرحمة، ولكنَّ شيئاً أقوى من هذا هو الذي جعله يعزم على ما يعزم عليه الآن، هذا الشيء هو استجابته لإرادة ربه[61].

ونفهم من هذا الموقف ضرورة التمهيد بكلام طيِّب قبل طرح الموضوعات الصعبة والخطيرة. يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: "إذا اضطُرِرتَ إلى الإخبار عن أمرٍ مكروه، أو وقوع حادثٍ مُفْجِع، أو وفاة قريبٍ أو عزيزٍ على صاحبك أو قريبك، أو ما شابه ذلك، فيَحسُن بك أنْ تُلطِّف وَقْع الخبر على من تخبره به، وتُمهِّد له تمهيداً يُخفِّف نزول المصاب عليه، فتقولَ فيمن تُخبر عن وفاته مثلاً: بلغني أنَّ فلاناً كان مريضاً مرضاً شديداً، وزادت حالُه شِدَّةً، وسمعتُ أنه توفي رحمه الله تعالى" [62].

**2. التعبير بلفظ "أرى"**

قال إبراهيم لابنه: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾. فاستخدم الفعل المضارع "أَرَى" دون رَأَيْتُ، ليوحي إلى ابنه بحضور هذه الرؤيا حين كلامه، فإنَّ لفظ المضارع يدل على تكرار الرؤيا كما يقول البيضاوي[63] والآلوسي[64]. ووَرَدَ عن مقاتل أنه قال: رأى ذلك إبراهيم عليه السلام ثلاث ليالٍ متتابعات[65].

وأيَّاً كان عدد المرات، فإنَّ المضارع يدل على الحال المستمر، فكأنَّ إبراهيم يقول لابنه: إنه يا بني أمرٌ لازم واضح، ماثلٌ في نفسي كأني أراه الآن، وفي هذا شيء كأنه الاعتذار من إبراهيم لابنه، بأنه إنما يُقْدِم على ما يُقْدِم عليه، لأنه أمام أمرٍ قويٍّ غالب مسيطر.

**3. عَرْضُه للأمر على ابنه بصيغة التخيير**

---

61 انظر: عبد الحليم الحفني: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1985م)، ص(164-165).

62 عبد الفتاح أبو غدة: من أدب الإسلام، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1985م)، ص(53- 54).

63 انظر: البضاوي: أنوار التنزيل، ج5، ص21.

64 انظر: الآلوسي: روح المعاني، ج23، ص129.

65 انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص101.

بعد أنْ عَرَضَ إبراهيم الموضوع على ولده، خاطبه قائلاً: ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾. فشاوره بذلك مع أنه أمر الله الذي يجب تنفيذه، لأن في هذه المشاورة إعلاماً له بما رآه، لكي يتقبله بثبات وصبر، وليكون نزول هذا الأمر عليه أهون، وليختبر عزمه وجَلَدَه[66].

فإبراهيم عليه السلام يعلم مدى التزام ولده بشرع الله، ويعلم أنه لا يمكن أنْ يتراجع عن الانقياد لأمرٍ طلبه الله عز وجل، لذا فإنه يعرض الموضوع على ولده في صيغة المشاورة لا في صيغة الأمر، وهذا من أدب إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام.

**الثاني: الجوانب الأدبية في ردِّ الابن الذبيح**

1. **التعبير بلفظ " يا أبت "**

ردَّ إسماعيل على طلب والده بقوله: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾. وقد أشرنا سابقاً إلى ما في لفظ "يا أبتِ" من إظهار الاحترام والطاعة. وهذا اللفظ يوحي هنا بأنَّ المعنى المسيطر على إسماعيل هو طاعة أبيه، مهما كان الفعل، وأيّاً كان مصدر الأمر بالفعل، وكأنه يشير بذلك إلى تبادل العاطفة السامية النبيلة بين رحمة الآباء وطاعة الأبناء.

يقول الآلوسي: "ولَمَّا كان خطاب الأب: يا بني، على سبيل الترحُّم. قال هو: يا أبتِ، على سبيل التوقير والتعظيم" [67].

2. **الاستجابة المطلقة بقوله: "افعل ما تؤمر"**

يتضمن تعبير "افعل ما تؤمر" جانبين واضحين:

أحدهما: الحزم في الاستجابة، بمعنى أنَّ إسماعيل يستجيب لرغبة أبيه على بشاعة مظهرها، دون تردد أو إبطاء أو مراوغة، وإنما بكل الحزم والطاعة وسرعة الاستجابة بقوله: "افعل". ولو كان في نفسه شيء من تردد أو خوف، لأمكن أنْ يبطئ في الإجابة حتى ولو بالمحاورة، أو إلقاء بعض الأسئلة والاستفسارات، ولو فعل لم يكن عليه بأسٌ ما دام سيستجيب، ولكنه لم يلجأ إلى شيء من ذلك.

والثاني: أنه يبين لأبيه أنَّ المعنى المسيطر عليه هو طاعته في كل ما يطلب، فهو منفِّذٌ لإرادته، مع صرف النظر عن أنَّ الله سبحانه هو الآمر أو غيره. ونلمح هذا المعنى في بناء الفعل للمجهول " تُؤْمَر"، فقد كان يمكن أنْ يقول له: افعل ما أمَرك الله به، ولكنه يتجاوز هذا، وكأنه يقول له: أنا مطيعٌ لك ولو لم أعرف من الذي أمرك بهذا. وليس في

66 انظر: الآلوسي: روح المعاني، ج23، ص129.

67 الآلوسي: روح المعاني، ج23، ص129.

هذا تهويناً من طاعة إسماعيل لله، بل على العكس، فإنَّ ردَّه هذا يتضمن طاعته لله من بابٍ أوْلى، فالمؤمن الذي يَبْلُغ أنْ يقدِّم حياته طاعة لوالده، أوْلى أنْ يقدِّمها طاعة لربه[68].

كما أنَّ إطلاقه لنوع الفعل، يتضمن زيادة في الطاعة والاستجابة، فقد كان يمكن أن يقول: افعل الذبح، أو نحو ذلك، ولكنه يقول: افعل أيَّ شيء دون تحديد أو تقييد، وكأنه يقول: لو كان هناك ما هو أشدّ من الذبح وأُمرتَ به فافعله، فلم يخصص الذبح، وإنما أطلق الأمر مهما كان نوعه[69].

### 3. استعانته على تنفيذ الأمر بالصبر

بعد أنْ أعلن إسماعيل استجابته المطلقة لطلب أبيه، بَيَّن لوالده أنَّ موقفه عند التنفيذ سيكون الصبر، فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. وثَمَّة فارقٌ ذو أهمية بين مَنْ يستجيب وهو جَزِع، ومن يستجيب صابراً مطمئناً، فكلتاهما استجابة، وفي كلتيهما خير، ولكن شتَّان بين الخير في هذه وتلك. وإسماعيل يأبى إلا أنْ يَبْلُغ قمَّة الفضل في الأمرين، الاستجابة المطلقة لأبيه مهما كان نوع الفعل ومصدره، والصبر والاطمئنان عند تنفيذ هذا الفعل[70].

ويُلحظ هنا أنَّ إسماعيل عليه السلام قَرَنَ صبرَه على ما سيحصل معه بمشيئة الله، وفي الأسلوب الذي سَلَكَه في كلامه ما لا يخفى من سُموّ الأدب، حيث قدَّم مشيئة الله تعالى، واستعان به سبحانه في أنْ يجعله من الصابرين على هذا البلاء.

نستنتج مما سبق أن أسلوب الخطاب الذي دار بين إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام- يشكّل نموذجاً رائعاً في أدب الخطاب بين الأب وابنه. وحريٌّ بنا أن نقتدي بهذا الأسلوب الذي يعبّر عن علاقة متينة بين الوالد وولده.

---

68 انظر: حفني: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، ص 167.

69 انظر: المرجع السابق، ص(167- 168).

70 انظر: المرجع السابق، ص168.

## خاتمة

يجدر بنا في نهاية هذا البحث أنْ نلخّص أهم النقاط التي تم التوصّل إليها:

1. عُنيَ القرآن الكريم بأدب الخطاب، باعتباره ضرورة إنسانية ومدخلاً إلى القلوب المقفلة، وسبيلاً إلى الإصلاح والتغيير.
2. جعل الإسلام للوالدين مكانة خاصة، فحث على التأدّب معهما في الخطاب والابتعاد عن كلّ ما من شأنه أنْ يؤدي إلى الإساءة إليهما.
3. وجّه القرآن الكريم نحو الطريقة المثلى في تربية الأبناء، والقائمة على الأدب في مخاطبتهم لإزالة الحواجز بينهم وبين آبائهم.
4. مثّل إبراهيم -عليه السلام- نموذجاً رائعاً في أدب الخطاب مع أبيه الكافر آزر، ومع ابنه المؤمن إسماعيل عليه السلام.
5. في الوقت الذي تلقّى إبراهيم من والده سوء الردّ والجحود، فإنه تلقّى من ابنه اسماعيل أدباً يتناسب مع سموّ النبوة والرسالة.
6. ضرب لنا إبراهيم –عليه السلام- مثلاً يُقتدى به في حياتنا اليومية.

وفي ضوء هذه النتائج، فإن الباحث يوصي بما يلي:

1. استنباط المنهج التربوي والتعليمي للمسلمين من الوحيين؛ القرآن الكريم، والسنة الصحيحة.
2. التزام المربين بطريقة القرآن الكريم في ترسيخ أدب الخطاب كمنهج واضح في التعامل بين الناس.
3. اجراء المزيد من الدراسات العليمة حول موضوع أدب الخطاب، سواء في القرآن الكريم أو السنة المطهّرة.

## قائمة المراجع


1. ابن أبي سلمى، زهير: ديوان زهير بن أبي سلمى، (بيروت: دار صادر).
2. ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط1، 1420هـ/2000م).
3. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي: الكافي في فقه أهل المدينة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ).
4. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الفكر، د.ط 1401هـ).
5. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت).
6. أبو غدة، عبد الفتاح: من أدب الإسلام، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط2، 1413هـ).
7. آقبيق، غازي صبحي: آيات قرآنية: ومضات من القرآن الكريم (عرض وتحليل)، (دمشق: دار الفكر).
8. الآلوسي، أبو الفضل محمود: روح المعاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
9. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط3، 1409هـ/1989م).
10. البرسوي، إسماعيل حقي: روح البيان، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت).
11. البيضاوي: أنوار التنزيل، تحقيق: عبد القادر عرفات حسونة، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1416هـ/1996م).
12. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ).
13. حفني، عبد الحليم: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1985م).
14. حماده، فاروق: آباء وأبناء: ملامح تربوية في القرآن الكريم، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط1، 1418هـ/1997م).
15. حوى، سعيد: الأساس في التفسير، (القاهرة: دار السلام، ط5، 1419هـ/1999م).
16. الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، (الرياض: مكتبة المعارف، د.ط، 1403هـ).

17.الخطيب، عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن، (دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).

18.الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط9، 1413هـ).

19.الرازي، فخر الدين محمد بن محمد: مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

20.الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت).

21.الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ/1989م).

22.سالم، عبد الله نجيب: نحو كلمة سواء وحوار كريم، (وزارة الأوقاف، ط1، 1405هـ/1985م).

23.السمين الحلبي، أحمد بن يوسف: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد التونجي، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1414هـ/1993م).

24.الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي: مسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1407هـ/1986م).

25.الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت).

26.الصباغ، محمد بن لطفي: خواطر في الدعوة إلى الله، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1، 1411هـ/1990م).

27.الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلمي، (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1404هـ/1983م).

28.الطريحي، الشيخ فخر الدين: مجمع البحرين، (بيروت: دار الهلال، د.ط، 1989م).

29.طنطاوي، محمد سيد: أدب الحوار في الإسلام، (مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ط، 1997م).

30.عبد الصمد، عبد الله محمد: خطاب الأنبياء، (القاهرة: مكتبة الزهراء، ط1، 1418هـ/1998م).

31.فضل الله، محمد حسين: الحوار في القرآن: (بيروت: دار الملاك، ط6، 1421هـ/2001م).

32.فضل الله، محمد حسين: تفسير من وحي القرآن، (بيروت: دار الملاك، ط2، 1419هـ/1998م).

33.القرشي، أبو بكر عبد الله بن محمد: مكارم الأخلاق، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، (القاهرة: مكتبة القرآن، ط2، 1411هـ/1990م).

34.القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، (القاهرة: دار الشعب، ط2، 1372هـ).

35.مسلم بن الحجاج النيسابوري: الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

36.مقالة على الانترنت بعنوان "الملامح التربوية في مواعظ لقمان" انظر: http://www.islamona.org/mawaezlokman.htm زهير عبد الرحمن أتاسي

37.مقالة على الانترنت بعنوان: "في البدء كان الحوار". انظر:http://saaid.net/Doat/dali/18.htm الدالاتي، عبد العظيم

38.النسفي، عبد الله بن أحمد: مدارك التنزيل، (دون معلومات نشر).

39.هناد بن السري: الزهد، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط1، 1406هـ).